

البنية الدلالية بين جماليات الصورة الشعرية وحضور المتخيل المشهدي  
في ديوان "سيرة ذاتية لسارق النار"

The Semantic Structure between the Aesthetics of the  
Poetic Image and the Presence of the Spectator in the  
Diwan of the Biography of the Thief of Fire

سميرة بوادي\*

Bouadi Samira

<sup>1</sup> قسم اللغة والأدب العربي جامعة محمد لين دباغين سطيف 2-

University of Setif- Algeria

s.bouadi@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2020/03/15	تاريخ القبول: 2019/10/07	تاريخ الإرسال: 2019/09/14
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

بعد الخطاب الأدبي بمختلف أشكاله فضاء تواصليا في حوارية تفاعلية تربط بين مقاصد المؤلف وإنتاجية القارئ التأويلية، بممارسة قرائية نقدية تدرس وتشرح البنى العميقة والمتخيل للخطاب بحثا عن الفهم، وخلقاً للقراءة الفاعلة التي تحركها وجهة نظر جواله تؤسس لتعدد الآفاق، في محاولة القبض على الدلالات العميقة والمسكوت عنه في الخطاب الشعري، ضمن مشهدية جمالية تتوالد من تلاحمية الألفاظ المكثفة في تواضع، ينسج خيوط المشهدية، فاتحا المجال للدراسات النقدية ومنفتحا على أفاق التأويل وآلياته القرائية، في تواؤمية بين الخطاب والمقاربة النقدية، يتحقق بدراسة في ديوان سيرة ذاتية لسارق النار، تحاول الكشف عن المشهدية المتخيلة ودلالاتها بتعالقية وتجاذبية، بتحفيز وإثارة فعالة للحواس، للتفاعل والإحساس بكل سكون داخله حركة في النص.

الكلمات المفتاح : بنية دلالية، جماليات، صورة شعرية، متخيل، مشهدية.

**Abstract :** Literary discourse in its various forms is a continuum space in an interactive dialogue linking the author's purposes with the reader's interpretive productivity, through a critical reading practice that examines and explains the deep and imagined structures of discourse in search of understanding, and to create an active reading driven by a mobile view that establishes multiple horizons, in an attempt to capture the deep connotations and silence. In the poetic discourse, within the aesthetic scenery generated

سميرة بوادي\*. s.bouadi@univ-setif2.dz

by the coherence of the intense words in, weaves the threads of the scene, opening the field for critical studies and open to the horizons of interpretation and reading mechanisms, in the adaptation between the discourse and critical approach, achieved study in the Diwan of Biography of a Thief of Fire, trying to detect the spectacular imaginary and implications and gravitational, stimulate and provoke effective senses, interaction and a sense of stillness within each movement in the text.

**Keywords:**Semantic Structure, Aesthetics, Poetic Image, Visualizer, Scenic.



#### مقدمة:

تعد البنية الدلالية محطة النضج الفعلي لبنى اللغة الشعرية، باختصار تنغمس فيه الأصوات والكلمات والتراكيب، رموزا ومعاني، صورا ودلالات، تحاكي تفاعلية تنمهي في كيان النص الشعري بلغة مستلذة مثيرة، تتصاعد فيها شحنات دلالية من جوف طاقات تعبيرية، تتوالد في تواصل وتلاحم لوحات وبنيات تتعاقب في تضافر توالدي تستنطقه سياقات تتواشج، توظف لعملية التواصل التي تنفعل مع وظائف اللغة المتجدرة في صميم التحليل الأسلوبي البنيوي، الذي يلامس بعمق ويتوغل بين ثنايا اللغة كمادة للدراسة والبحث واستنطاق أبعادها وبنائها الجمالية، التي لا تكتمل إلا في كيان بنائي تلتحفه دلالات ومعاني تستولد من صور شعرية ناطقة، إلى تكثيف لغوي كبنية تأثيرية مثيرة تنخلق منها صور وأفكار، رموز وتخيلات تثير الدهشة والمفاجأة، الاستمتاع والتلذذ، تدرجا بداية من صوت إلى كلمة إلى تركيب ونهاية بدلالة ومعنى تتوحد به البنى وتنضج صور خيال وأحلام، وصور تشخيص وتجسيد تتوافد في صور ذهنية إلى المتلقي، تتجاوز ذلك التشكيل والرسم الجامد إلى إيجابية تناسل منها بنى اللامتوقع واللامنتظر، تكشف فيها عن تجريب يشكل المغامرة الفعالة التي تستجلي مكان العمل الأدبي في انحراف يعدل عن معيارية مبتدلة، يستقصي ملامح أسلوبية تتلاحق متكشفة في سياق شعري من لب بنية خرقت نمطيته فالشعر تفكير بالصور<sup>1</sup>، تنسل منه دلالات ومعاني لبها وجوهرها صور تتوالد داخل بنيانه، متكررة في روابط علائقية تؤسس لملامح أسلوبية تتكشف في النصوص في جمالية وفنية، تلغي كل متوقع إلى استفزاز كل ما هو غير متوقع خلقا لمفاجأة لذيذة.

فتمثل الصورة الشعرية النكهة المميزة المكتملة للغة الشعرية في سياقات تنامي وتتعاقب، في إيجابية تنوع وتتغاير أنماطها بين خيال وواقع، تتجاوز في بنيتها التشكيل والرسم الذهني المادي لها

إلى تشخيص وتجسيد في فضاء النص إيجاء وتلميحا يلغي كل مباشرة وتصريح ممل، خلقا لنوع من المفاجأة التي تنتشر كل بنية متوقعة إلى أخرى غير متوقعة تستثير المتلقي لاستنطاق دلالاتها المتوالدة، وتقوم على كسر العلاقات المنطقية وجعلها متنافرة تتراوح بين اللامنطقية واللاعقلانية<sup>2</sup>، لتجاوز الصورة الشعرية وتخرق كل القوانين والنظم الطبيعية إلى رسم الفضاء الخاص بها، الذي يحركه الخيال والإيجاء المتأني من التجربة الشعرية التي تتماهى في حضور قوي منفعل، تنفلت فيه الأحيولة خلق لإيقاع خاص تتوالد فيه الصور التعبيرية التي ألغت العقل والمنطق إلى تأثيرية مثيرة، تنبع من فضاء التفاعلية الإنسانية الاجتماعية مشكلة علائق متغايرة متلاحمة، تؤسس لتشكيلات جمالية تتمحض داخل الصورة الشعرية التي تمثل بؤرة الدلالات والمعاني.

وتعمل على استنطاق الوقفات الإبداعية التعبيرية في العمل الأدبي فاتحة المجال للتعاطي بين عوالم الحقيقة والخيال، وبناء جسور التأويل بعيدا عن حدود المعنى الواحد، تترجم حالات نفسية مكتومة صرح بها وانفعالات تتغذى من وقائع تستشرف على النص كللفظ يلخص كل حدث فيه، فالصورة الحديثة تفضل أن تكون قصيرة وعنيفة، أي أنها كلمة تلقى في سياق الجملة فتلخص الصورة<sup>3</sup>، فتتكاثف وتتكتف الصورة لفظيا وداليا مشحونة بعواطف ومشاعر وأفعال تنثال من عمق التجربة الشعرية التي تحركها دقات شعورية، تعززها عملية التواصل التي تكشف عن بؤر الصور إيجاءاتها الكامنة فيها، ضمن جمالية وإبداعية تجاوز مطلقة التصريح الشكلي، فتحاكي تجربة إنسانية إبداعية وأخرى شعرية فنية تستحضر أعمق المعاني والدلالات وأصدقها، تحيك فضائها الخاص لعيش حلم سرمدى لا تشوبه مادة الواقع وانخزامية العصر، في تلميحات تستحضر وإيجاءات تبعث من واقع، لتتشكل في كيان جديد لا تحده حدود.

ومن هذا المنطلق، سنحاول استنطاق بنى اللغة الشعرية وارتخالات صورها المنطوية على تناسلية دلالية، في ديوان "سيرة ذاتية لسارق النار" وتتبع فاعليتها المستفزة بين تعبير وتأثير، وسنستقصي الملامح الأسلوبية المتكشفة من خلال الانحرافات الدلالية في الديوان، ونستجلي جماليات نصوصه من خلال الصورة الشعرية، مع بيان نماذج منها تؤطر لفاعليتها الأسلوبية المتحققة في عملية التواصل، وما تعكسه من أثر وتأثيرية شعرية في إيجاء وتلمييح ألغى المباشرة والتصريح.

#### القيمة الأسلوبية لعنوان أولى قصائد الديوان:

### "من قصيدة لم تكتمل"

تتكشف ملامح القصيدة الشعرية الأم من ديوان "سيرة ذاتية لسارق النار" من خلال عنوان القصيدة الأولى "من قصيدة لم تكتمل"، مستقلة بذاتها كالصورة الأولى والصوت الأولى الحامل لتوالد الدلالات المنكمشة في العناوين المتناسلة من رحم القصيدة الأولى، مشكلة صورتها وإيقاعها الخاص في تلاحم أبنية اللغة شكلا وتعالق الصور دلالة، وانصهار علائقي مناسب على طول الديوان، مستشرف من أطلال العنوان عن نقص وأنها أخذت من غيرها بحثا عن الكمال، كأنتى امرأة إلى أنثى أم كاملة، بحثا عن نضوج واختمار لدلالات وأبنية حققت الرحم الشعري الأول، فعملت القصيدة الأولى كالمراة الأولى على بداية الخلق وبداية ديوان شعري تتلقفه أصوات، كلمات، تراكيب، صور لدلالات تتضارب وتتصاعد، لتمثل "من قصيدة لم تكتمل" رحما يجسده الديوان، تتناسل القصائد إثرها بعثا لكمال بعد نقص من "محاض" شكل بداية حياة جديدة طارئة، و"قصائد عن الفراق والموت" بين موت وبعث تتزاحم الأدوار، "الزلال" في حركات تتصاعد تتداعى بين وجود وعدم، "السمفونية العجرية" لتشكل إيقاع الحب الثنائي بين هو وهي لتعود دورة الحياة والموت معهما، "قربانا" تفصح عنه القصيدة إلى "سيرة ذاتية لسارق النار" كثمرة خلق من المراة الأولى والبرق في ذروة تكامل وانشقاق، لتدوي الحياة في قصيدة كانت "الموت في البسفور"، فحملت القصيدة الأولى، الرحم الأول، سيرة ذاتية لسارق النار من أول التحام، نضوج واكتمال إلى ذوبان وانعدام، مسيرة حياة وموت، تتلاحق في صورة إنسان منذ أن وجد حتى انعدم.

### 1- صورة الخلق والبعث عن موت:

أَرَى جَبِينِ الْمَرْأَةِ الْأُولَى الَّتِي مَارَسَتْ الْحُبَّ مَعَ الْبِرِّقِ  
عَلَى طَاوِلَةِ التَّشْرِيحِ بِالْحُنُوطِ وَالْكِتَانِ  
فِي الْعَصْرِ الْجَلِيدِيِّ تَنَامُ  
بَعْدَ أَنْ مَاتَتْ خَلَايَا الْجَسَدِ الْحَيَّةِ  
وَالكَاهِنُ يَتْلُو رُقِيَّةً سِحْرِيَّةً  
تَسْتَيْقِظُ الْمَرْأَةَ مِنْ سُبَاتِهَا الْعَمِيقِ  
تَرْتُو لِدَمِ الشَّمْسِ عَلَى الطَّاوِلَةِ الْمُسْحُورَةِ

الكَاهِنُ يَشْلُو رُفِيَّةً  
يَشْقُ فِي مَبْضَعِهِ الْأَضْلَاعَ  
يَسْتَخْرِجُ مِنْ مَنَاجِمِ الْقَلْبِ: عُرُوقَ الذَّهَبِ  
الْمَرْأَةُ تَبْكِي  
يَسْجُدُ الْكَاهِنُ عِنْدَ قَدَمَيْهَا مَيِّتًا  
وَوَزْدَةً مِنْ يَدِهِ تَسْقُطُ فَوْقَ كَفَمِنِ الْجَلِيدِ<sup>4</sup>.

تسامى الرؤيا الصوفية في نشيج تعزف ألحانه أفعال تتعالق وتتلاحم، تشكل محور الحدث وسردية الوقائع في تفاعل حوارى تحركه ذاتين المرأة الأولى والكاهن، تسير تحولاتها ذات غائبة حاضرة تتفاعل في سرد وإفصاح لمشاعر وعواطف تجتاح كل قارئ يستسلم لصورة، تتشكل ملاحظها بين ثنايا كلمات تصف الالتحام وأصداء هذا التعالق بين المرأة الأولى والبرق، بين الأم وثمره نسلها المتوالدة من نيران برق تهافتت فيه رغبات ونزوات موت يجتاح جسدا مغيبا إلا من جبين المرأة الأولى، في حضور يعكس النقص والفراغ الذي سطع من العنوان "من قصيدة لم تكتمل"، فهل هي تلك اللحظة التي تسامت فيها الروح بعد بعث من جسد متهالك بارد؟، أم هي تلك الرؤيا التي تلاحقت إثرها أسئلة عن ما الذي حدث؟، إنها لحظة شعرية تتغذى بها نار تلمح كل جسد حار ليصبح رمادا، تكابر المرأة الأولى وتتجاوز كل الصعوبات والعراقيل، متناسية يرحف الموت تحت ظلاله المتوارية بموت خلايا الجسد الحية، لتتكشف بداية الخلق من عنفوان جبين متسام إلى سماء يجتاحها برق يشق بنيانه اللافحة، جسدا أبى إلا الموت رعشة من جوف رحم المرأة الأولى التي وقعت سيرة سارق النار، ثمرة لحظة تتسامى فيها روحها خلقا جديدا وميلادا جديدا، تجبو فيه كل الجمادات وترنو إلى حياة من مخاض يضطرب إلى موت يستكن.

ولتلتحف الصورة الشعرية، صورة البعث الخلق والوجود، في اضطراب طاولة تشرح تناقض الوجود إلى انعدام وكأن الخلق بدأ بموت هذه المرأة الأولى أم الخلق، فهل هي التضحية أم هو القدر المحتوم؟، في برود يهز أثقال قراءة استعصت الرضوخ والاستسلام إلى انتظار خائب صعقت به إيقاعات التحام إلى انعدام، في لحظات ترتشفها صدمات المفاجأة الخائبة، في إثارة احتشمت رضوخا لمشهد الموت، الذي ما لبث أن انعدم في مفاجأة أخرى عقلت ذلك الانتظار الخائب، يروضها كاهن ذات أمل وانتظار لتحقيق غاية، رمز نور وارتقاء تحرك بنى لغة سردية تشظت

أحداثها لتوالي إيقاع حياة وبعث لذكرى تنثال في مجون وجموح عن نقاء وصفاء، عن صورة أولى لأم أولى وخلق أول. فكل إلحاح صوتي يمثل صوت حقيقتنا الفعلية، هو في الواقع الوهم نفسه، ولكننا عندما نختلي بأنفسنا، وتنتفتح كل نفس على داخلها، ومن ثم ندقق فيها، إذا بنا أمام ذلك الوهم الآخر، الوهم الذي كنا نعتقد صوتنا الحقيقي، والمتمثل فيما نطقنا به، وقلنا للآخرين.. إن إلحاح الصوت هو إلحاح حقيقة، ساكنة بين جناحيننا، لتؤكد انحرافنا في وهم ما نعتقد<sup>5</sup>، لتتكشف حقائق الذات صاحبة الصوت، حيث تتهامس فيها الأصوات استسلاما، رضوخا، خشوعا للحظة البعث والوجود بعدد انعدام، تتناقل الأحاديث وتتهاوى الأنظار على الرؤيا التي انفلتت من أناها لتسرد نفسها بنفسها في انفتاح وتسامي تتعالق به ذات الكاهن وذات المرأة الأولى، بحثا عن ذلك الاكتمال المفقود من قصيدة لم تكتمل من رقية تتردد وتكرر بين أسمع وأنظار تفعل فعلها كسحر يبعث الخيال والحلم، وكعلم يشرح أجسادا مثقلة بموت يهدد، تلتحم فيه الآمال والدعوات أملا في استحضر وبعث تلك الصورة، ذلك الرحم الذي لم ولن يكتمل إلا بدفقات كل قصيدة ارتحل معها الديوان في سيرة ذاتية لسارق النار، لثمرة ذلك الالتحام ونسل ذلك الخلق، والسواد لذلك البياض لذلك الفراغ والنقص.

لتتبدى صورة الخلق والبعث عن موت في تناسل الدلالات من بداية خلق أسرت فجوات احتنقت بها الأصوات، وموت تشظت فيه الأجساد أرواحا محمولة بنار البرق الذي تلتحفه رعشة موت متقاعس بقران المرأة الأولى التي بعثت وأريد لها الاستحضار، بعثا لتلك اللحظة خلودا وبقاء أبديا تنفلت منه كل ذكرى إلى عيش تلك اللحظة دون غيرها، بمتخيل مشهدي يزيد الصور حدة، ويعمق المشاعر، ويلهب الأخيلا، لا بل إنه يعطي الشاعر نفسه خلال عملية الإبداع نشوة تجعله يتدفق بالصورة الحارة والتعابير المبتكرة المهمة<sup>6</sup>، حيث يحمل رسالة مخفية الملامح، تكتنرها تجربة شعرية إبداعية، تتعالق أبنيتها في فجوات النسيج الشعري، مصرحة بتلميحات كتومة تصور الأفكار والتخييلات، وتكشف الانفعالات والمشاعر ضمن نسيج إيقاعي موسيقي يعتمل بأبعاده خارجا، ولتنسل اللحظة من خيبة إلى مفاجأة اعتصرت القارئ، ليعود إلى ذهوله المفتون بقران كاهن أبي إلا بعث الأمل والنور إكمالا لتلك اللحظة لذلك المشهد بثمار جناها نسل سارق النار، نورا، حقيقة، علما في سرمدية أحلام تتهاوى في واقع تحجرت ملامح أنفاسه، فتتفلت صورة الرؤيا بين ثلاثية أطرت لعالم مثالي ترتشفه كل قراءة، بحثا عن ذلك الخيط الرفيع الفاصل

بين الحقيقة والوهم، كشخص كل له اسم "خلق موت وبعث"، وكل له هوية تستشرف على مآل وقدر كل إنسان في دورة حياة، بدايتها معلومة واضحة ونضوجها متوقف على كل ذات بأفعالها وأصواتها، واكتمالها رهن بمن هي في سيرتها ونهايتها تتعاقب بمستقبل مجهول يرتحل مصادفا كل راحل وآت، ليتماثل نص "من قصيدة لم تكتمل" للشفاء بعد بتر وقطع وانفصال عن أصل ما، لتصقل نفسها بنفسها من بداية الخلق والولادة إلى ديوان جمع بين قصائد شملت كل قصيدة اسما لمرحلة حياة، لحوادث، لأفعال، وتمنيات تصور ذلك الاكتمال المفقود من بداية القصيدة، وتلحم ذلك الخلق ونسله سيرة ذاتية لسارق النار كمسيرة وحياة تترجم كل لحظة كل صوت، كل انفعال تحرك في لحظة الخلق.

## 2- صورة الميلاد ونار الحقيقة:

وَقَعْتُ وَأَنَا أُمَارِسُ السِّحْرَ، أَسِيرًا،

فَتَعَلَّمْتُ مِنَ الْأَنْهَارِ: أَحْمِلُ النَّارَ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا

وَأَصْطَادُ لَكَ الْفَرَاشَةَ-الْوَعْلُ-الْعَزَالُ-القَمَر

الْمَجْمُوعُونَ اخْتَشَدُوا فِي مُدُنِ الطُّفُولَةِ<sup>7</sup>.

تتناسل الصورة الشعرية في هذا المقطع كلحمة صوتية، لفظية وتركيبية تتوافد دلالاتها ومعانيها رابضة في ذهن يحركها ويهز كيائها المتقد، وتتعلق الصور الشعرية في تراوح وترابط بين حقيقة وحلم، بين واقع وتمنيات لتنتال في حميمية ذكرياتها، أحلامها، ومشاعر حفرت في إناء ذاكرة مرمم يسير أحداث ذات ضائعة، مشردة، أسيرة منفية، ترسم مجال تواصلها أسطورة سارق النار كذات واقعية تتحكم بزمام الأمور، مشكلة حوارية شعرية تحركها الأنا الساردة والحاملة ضمن إيقاع متسارع، تتلاحق معه الأصوات في تفاعلية ترسم المسار السردي للأحداث في بناء صوري تشخيصي، تتعاقب به الذات المتكلمة مع سارق النار حلولا وتوحدا في صوت واحد يتقاده الواقع، فهي صور ذات، نفس تلتحف شخصيا تساووم بما نفسها وحياتها، لتعبر عن شيء ما وتخبر عن شيء ما، في حوارية تخاطبية بين صوت وصداه، تتعاضد صورة بين ذات متكلمة وذات مخاطبة أنتى، ولكنها فقط تستمع، فلم لا ترد الكلام؟، ولم صوتها منعدهم؟.

وَقَعْتُ وَأَنَا أُمَارِسُ السِّحْرَ، أَسِيرًا،

فَتَعَلَّمْتُ مِنَ الْأَنْهَارِ: أَحْمِلُ النَّارَ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا

اعتراف يتلوه اعتذار من ذات أبت إلا التصريح، أسرت بالجرم المشهود، بممارسة السحر، فهل هو سحر ساحر منافق أم سحر ساحر فنان سحر الألباب والعقول، بفعل هزّ أركان الوجود، لكن هذا الفعل يعقبه رد فعل (فتعلمت) يطغى بفاعلية على حركة الفعل الأول (وقعت) لقد تعلمت الذات من السقوط والوقوع النهوض من مطبة ومطبة، وبعد نكسة ونكسة، لتتراحم الصورة الحلم، تعلمت هذه الذات المتكلمة الساردة بصوتها عن واقع لم تنل منه فرصة، من الأنهار ولم الأنهار يا ترى؟، لا هي بالمعلم ولا بالحكيم الناصح، إنها تتشخص وتتجسد في صورة تراها الذات التي نسجت ذكرياتها وأحلامه بطريقتها، إنها صورة لأنهار تعلم، إنها صورة لجريان وتجدد مع علمها أن دوام الحال من المحال، إنها النقاء والصفاء، هي الحركة والتغير، هي الحياة والولادة، هي الرحلة الدائمة التي تكون محطاتها قصيرة عنيقة، هي السفر المتلاحق، حتى أضحت مستوطن ذات جواله، فلم لا تتعلم منها وهي خير معلم في الحياة!، فتولد صورة شعرية أخرى تتلاشى معها كل المعاناة (أحمل النار إلى زماننا هذا) في تصريح بالمكان، وتشخيص الأصوات بعد انفراد وعزلة إلى توحيد وتعدد، إنه الواقع المعاصر المشترك بين كل عربي (هذا الزمان) دون غيره، لا هو ما مضى، ولا هو الآن، ولا هو غدا، بل زمننا هذا المعروف، فتولد ذات جديدة من الذات المتهالكة اليائسة المحرومة الضائعة، كعنقاء جديدة من لباسها الأول الذي تلاشى، لكن بصورة أخرى وصوت آخر، إنها حاملة النار لا بل النور، الحقيقة، الأمل، التفاؤل، التغيير، الفجر الجديد لواقع عربي مغمور، وتلقف الصورة الشعرية ذات كذات سارق النار الحاملة للبشرية النور، عصيانا للآلهة وتمردا على طغيان وعدوان، لتتشرب الذات هذا العنفوان، هذا التمرد من أسطورة عادت للحياة فيها حلولا وتوحدا، لتعلن ثورة على كل شيء، على كل سياسة وحكومة شعارها التعنت والفساد ولا صوت إلا لها وبها، بتكشف إيقاع صوتي متدرج مثل بؤرة فاعلة في جسد اللغة الشعرية ضمن عملية التواصل، التي تحرق فيها درجات الإيقاع وحركيته في علاقة تفاعلية بينه وبين المتلقي للعمل الإبداعي، فهو يمثل: الفاعلية التي تنتقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية<sup>8</sup>، فيعكس التجربة الشعرية التي تنتفض من عمق العمل الإبداعية الذي تحركه حالة نفسية وشعورية يستسلم لها في إيقاع شعري تكون له الفاعلية والتأثيرية في المتلقي كسرا لأفق توقعه وخرقا لكل متوقع عنده ضمن بواطن النفس وجواني التفكير التصويري.

لتناسل أصوات جمعت كل أصداء العالم العربي الخافتة، ثائرة داعية للتغيير والتجديد نحو الأفضل وعدم القبول بالراهن، بالواقع العربي المعاصر المهزوم المقيد بكل شيء ولا شيء في عقم تسلل إلى رحم تتمخض أسوء الكوابيس، إنها صورة لصوت واحد هز كيانه كل صوت عربي خائف بتمرد وشجاعة وجرأة، كسرت أفق كل توقع إلى لامتوقع يفرض نفسه في أداء تعبيره عن وجود، وعن فلسفة وجود لا بد من خلخلة وكأها المتصلية. الديوان في تكامل بين جسد وروح، بين شكل ومضمون، بين صورة تتجلى وتبزغ في الإبداع الفني ومن خلالها-هذه اللحظة هي الجدة نفسها، والتي تضفي طابعها بدورها على كل من الصور الشعرية المبدعة بوصفها علامة على وجود جديد<sup>9</sup>، تتلاحم معه الدلالات في انفعال تتعالق به صور تشخص الوجود الملغى بين ثانيا المقاطع الشعرية في انسجام واتساق، وصوت في فضاء مؤتلف يرفض الاختلاف، في إيقاع منفرد متعدد الدلالات في وحدات داخلية متعددة.

وَأَصْطَافُ لَكِ الْفَرَاشَةَ-الْوَعْلُ-الْعَزَالُ-الْقَمَرُ

في هذا السطر الشعري تتنامى الصور الشعرية في تمرد بعد الثورة الأولى التي أعلنتها الذات تغييرا لهذا الواقع العربي المعاصر، الذي تحاكيه صور تتفاقم من تعقد واضطراب الحياة فيه، وتمتد في حضور قوي تنتشر به صور متوالدة ومكثفة تتلاحق وتتعالق في شخصيات جديدة تحرك مسار السرد الحكائي والبناء الدرامي، الذي أنشأته أصوات مضطربة، لتعود الذات مرة أخرى بفعل آخر (أصطاد لك) مخاطبا للذات الأنثى نفسها، فهل هي المرأة: الأم، الحبيبة أم الرفيقة المؤنسة أم الشيء المشخص للحياة، الحقيقة، الأحلام، الذكريات أم الرمز الوطن، الأرض، البلد، المدينة، القرية، البيت، وما هذا الاصطياد إلا تقييدا لأشياء كانت لها، لهذه الذات الأنثى المحاطبة وأخذت منها، فقدتها، والآن هناك من سيعيد لها كيانها، باصطياد حق فر هاربا، اصطياد ذكرى تلاشت في أرض واقع مسموم، اصطياد حياة وهوية، شخصية وأحلام عساها تكون بداية العودة بعد الرحيل، ولكل منا اسمه الخاص وهويته، صوتا وشكلا ولونا، ولكن في الأخير كلها الشيء نفسه وإن تعددت فكياته واحد، فهي "الفراشة" مرآة للألوان، للأحلام، للحمال والأنوثة الجاحمة، صورة لحرية جناحين، شمس أمل وحياة أو صورة لحياة لا تتواكل فيها النفوس ولا تتلاشى العزائم خائرة، هي روح الذات الباحثة عن جسدها في صورة للبعث والولادة، ولادة ذات عربية تنبعث في رحم عربي طال عقمه واضمحلال أجنة البعث الجديد لتولد كسرا

لكل قانون ودستور، كسرا لكل صمت وسكون حاملة لنار نور سارق نار الحقيقة واليقين في واقع عربي معاصر خارت قواه منذ أن عرف الصمت والقبول بنعم دون لا.

وهو "الوعل" ظل الرجولة والعنفوان، الإرادة والعزيمة والقوة، هو الكيان الناطق بالبعث في عصر عقيم أهللكه أبناء تأكلهم خرف ونعيق بصوت تتضارب أصداؤه منه في قلوب عطشى ليزيدها جوعا وانطواء، إنه صورة ربيع الأمة العربية، ربيع ولادة الصوت والنغم الذي تعلم الوحدة والشتات، ربيع بعث الأمل والحياة في نفوس تعلمت أن لا لكل قرار تصدره الصوت المفرد، أن نعم بعد تفكير واختيار، هي صورة "الغزال" رحم الروح لجسد ذات تأوي كل الأجساد بحثا عن روحها، لتكون الغزالة مرآة الروح، شمس الحقيقة والرؤيا التي تترفع عن كل مادية، في صورة الأمل والنور وجسر المحبة والمودة والوفاء كأرض، أم، وطن، حبيبة وزوجة، فضاء الأمن والسلام الحرية والتحرر، هي صوت كل عربي حامل لرسالة سلام توحد كلمات ضائعة في أكفائها المتبعثرة بين جثث التراكيب التي أضاعت صوتها.

وهو "القمر" شاهد الليالي، كضوء مثير لظلمات الحقائق المستورة المستترة، هو السائر الذاهب الغادي دون كلل أو ملل يروح ويغدو، فهو رمز للتمسك ومثالية الحفاظ على كل ما هو له وإن انتزع منه، وهو الجمال النقي والاكتمال بعد النقص والنقص بعد الاكتمال، وهكذا المغترب الغريب عن أرضه ووطنه، عن منزله وهويته، عن صوته ومن هو، يلبسه اشتياق وحنين، شوق وعذاب حب لا بل عشق لا بل هيام لهذه الأنثى التي أخفى ملامحها بين أم، وطن، بيت، هوية، أرض، حبيبة، زوجة، رفيقة، شخصية، روح، كلمة، قصيدة، رغبة ونزوة، حياة، أمة عربية عاصرت عقمها الذي آن له التلاشي والاستئصال من رحم مل الانتظار بين يدي موت ساحر من سوء المآل.

المَجْمُوعُونَ احْتَشَدُوا فِي مُدُنِ الطُّفُولَةِ

لتتحقق الصورة الشعرية وتتأكد بنبوءة منجمين توافدوا إلى مدن الطفولة، مدن الأمل والمستقبل عساه تتحقق فيهم أماني مستقبل واقع عربي معاصر، هي الرؤيا التي تحكم سطوتها على كل صورة تنبأت لها الذات بالحدوث.

### 3- صورة الاغتراب بين ذكرى ونسيان:

مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوَلَّدَ فِي ذَاكِرَةِ الْوَرْدَةِ وَالْعَصْفُورِ

مَاتَتْ عَلَى نَوَافِدِ الْفَجْرِ وَفِي دَفَاتِرِ الْوَحْشَةِ: نَيْسَابُورُ  
تَارِكَةً حُضُورَهَا الْعَائِبُ فِي حَدَائِقِ اللَّيْلِ وَفِي أَجْنِحَةِ الرُّهُورِ  
خَصْلَةً مِنْ شَعْرِهَا فَوْقَ سَرِيرِ الْمَطَرِ الْمُهْجُورِ<sup>10</sup>.

تتلاحم الصورة الشعرية في هذا المقطع متمردة، باعثة لجو يتملكه تكاثف الحزن لشقاء ومأساة توطر لها (من قبل)، فهي حاضرة دائما ودوما حتى ون لم تر، تتقاذفها الذكريات التي تنطرح في تشخيصات (وردة وعصفور) بل الوردة والعصفور كصورتين معروفتين هما بالذات دون غيرهما، تكررنا كمحمولين من الذات في كل القصيدة وبعض قصائد الديوان، فهما الشاهدان على المستذكر في صورتين متكاملتين تتزاوجان في عنفوان وتلاحم، فأصبحت للوردة ذاكرة وكذلك للعصفور في شهادة حية تتماهى كواقع يوقع لحوادث، لأصوات تحكي وأخرى يُحكى عنها بألفاظ تسترسل ببوح ملمح تصوغه الكلمات واشتقاقاتها، فالكلمة أداة المعنى، وأصغر وحدة من وحداته التي تتكون منها الوحدات الأخرى، كالعبرة والجملة، وهي تتمتع بقوة سحرية خارقة تؤثر في نفوسنا، وتعدل من سلوكنا بسبب ما ارتبطت به من صيغة قومية، وما أكسبته من منزلة اجتماعية<sup>11</sup>، فتكشف ضمن البناء اللغوي الشكلي لها وأبعاد الدلالات المتوارية فيه، في إطار الفعل الأدائي الكلامي، الذي يمكن من كشف القيمة التعبيرية لدى الإنسان، بين جمال في، طموح ودور فعال تحيكه الوردة، وبين حرية، أمل، إرادة يغذي كيانها عصفور، تتكشف "نيسابور" كصورة شعرية حاضرة غائبة يحكى عنها كذوات، كذات، كإنسان، فهل هي مجرد ذكرى، مدينة ومكان، أم هي وطن، حياة، أمة أعلن عن وفاتها لا كجسد، لا كروح، لا كمادة ملموسة، وإنما على نوافذ الفجر فليس هناك من ينتظرها ولا يتأملها.

وفي دفاتر الوحشة، في كتب ألقت الألس والألفة، تلاشت شيئا فشيئا كلمات كانت ترافقها وأصوات مكبوتة تواسيها، و"نيسابور" اسم لمن يا ترى؟، هل لشخص، لذات، لأرض، لوطن، لشيء ما، أم هي مجرد لفظة توهمتها الذات لتعبر عن نفسها، لتحكي عن معاناتها وألمها، فما هي إلا صورة تشكلت وهما وخيالا لتبعث وتموت كيفما تشاء، تحقيقا لتجسيدية موضوعات الشعر التي تتركز على التوتر بين الحياة والموت، بين التحقق والضياع، وتلك العلاقة المتحولة بين الروح والعالم<sup>12</sup>، وتتنال هذه الصورة في حضور غائب يتوالد في حدائق ليل، لا ترى ملامحها إلا بسطوع أنجم وضياء، وبكواكب وقمر يذهب ويعود في دورة حياة، فكذلك هي الصورة هذه

حاضرة غائبة، حتى وإن لم تتكشف للعيان والملموس معلنة عن تجرد، وعن روحية ترقب المعاني، وتناسل في "أجنحة الزهور" منتظرة ولادة جديدة كصفحة بيضاء تتواشج وتتلاحم أرواحها، لا كأجساد لحما ودماء وإنما روحا تزرع في كل أرض وتراب، ملغية مادة لطالما قرفت منها واستوتحت حضورها فيها.

تَارِكَةٌ حُضُورُهَا الْغَائِبُ فِي حَدَائِقِ اللَّيْلِ وَفِي أَجْنِحَةِ الزُّهُورِ

فهل هو الترفع عن كل ملموس ومادي أم هو التخلي والتجرد من أشياء كان لها أن تغيب؟، إنها الذكرى، إنها الأثر والتلميح بوجود ما في يوم ما، وحتى وإن كان المكان مهجورا، فسأتي اليوم الذي سيعمر من جديد في ولادة جديدة تلغي كيانا ممزقا إلى آخر مكتمل والوحدة والأمل والتفاؤل، لبناء غد عربي أفضل لا تحكمه الذكرى والنسيان لكل مغترب منفي داخل رحم وطنه و في أيدي تسوس الروح بعيدا عن نفحة هوية وانتماء.

#### 4- صورة أنا وأنت والمنفى:

السُّلْطَانُ فِي مَمْلَكَةِ الْمُوتِ أَنَا: سَاعِي بَرِيدِ  
يَحْمِلُ الدُّمُوعَ الْجَلِيدَ وَالشُّمُوسَ لِلْعُشَاقِ  
هَلْ رَأَيْتَ مِنْ نَافِذَةِ السِّجْنِ: يَبَايِعُ الرِّبْعُ؟  
وَقَطَارُ اللَّيْلِ وَهُوَ يُرْسِلُ الْعَوَائِلَ فِي عَاصِفَةٍ تُلْجِئِي؟  
كُنْتُ إِلَى الْمُنْفَى أَسَاقُ  
وَأَنَا مُقَيَّدٌ بِشَعْرِهَا الْأَحْمَرِ  
أَعْوِي وَأَعْضُ الْقَيْدَ  
مَنْ يَرِحُلُ فِي نَفْسِي؟ وَلَا يَعُودُ<sup>13</sup>؟.

تتزوج المشاهد الشعرية من جوف تعددية لأصوات تأتي إلا إحلال التواصل وإضفاء الحميمية للنسيج اللغوي الشعري، في تلاحق وتعلق لذوات تحرك سردا قصصيا حاملا لبناء درامي، يتشكل ضمن البناء الفعلي المتحرك والاسمي الواصف المشخص لذات تتكلم، تخاطب، تبرر وتساءل، تسرد وتجاوز، فتتعلق الصورة الأولى كأم ثكلى، فأبي سلطان يحكم مملكة موت؟!، تتلاشى هيئته ووقاره من أنا إلى أنا ساعي بريد متخيل استعارته الذات كتشخيص تمامي فيه، وكفناء تشربته لتخفي المعاناة والانكسار من خلع للهوية وللأنا المحفور في كل ذات، وتصيح في

إعلان وتصريح، ساعي يريد يحمل الدموع الجليد والشموس للعشاق، لا الرسائل، لا الكلمات، لا الخطاب، بل أحاسيس، مشاعر، عواطف، نزوات، أشواق، معاناة، خوف وتذرع للعشاق المحبين، امرأة، أما، أرضا، وطنا، مجرد شيء فقط، إنها ذات رسولة ألغت وظيفة مملّة وواجبا مقدرًا إلى تضحيات، تركيبات، تتناقلها أمور غير الكلمات فقد عجزت عن النطق بالكلام المبين، لتتساق حركية الصورة الشعرية التي كونتها الذات الرسولة من "أنا" إلى "أنت" في حوارية تفتح المجال لتعدد أصوات رنانة تتزاحم، إنه الحوار بين أنا وأنت الذي هو في السجن يسأل بلا إجابة فلم؟، ألا يمكن القول إنه الصوت ورد صدها، وإن الذات تخاطب نفسها لا محالة راسمة لصور تكفلها وتعزيها، وترسم فاعليتها في سؤال يكشف عن فحوى مفارقة ساحرة، ترسم ملامحها في نسيج شعري مستفز تتلاحق فيه دلالات بعد تمحض تناسل منه، فكيف ترى ينايب الربيع من نافذة السجن؟، فأأي سخرية هذه؟، إنها صورة لشيء بعيد المنال لمسه مستحيل تذوقه ولا حتى شمه، إنما فقط رؤيته من بعيد لتتحقق الصورة المتكشفة عن كل حقيقة، إنه الفضاء الذي يغزوه السكون والظلام وتتلاطمه أصوات أشباح تتلوى، وصوت حي ينثال هو عويل قطار الليل في عاصفة ثلجية كذات منفية مغتربة تنوجع شوقا لديار تغربت عنها تطوف بما نفحات أنس بشهقات عرس ليل يعوي في وحدة وتشرد غص على قلبه المعتم بأصوات ترى في غابر الزمن الذي لفحها بكل مقيت موجع مهين تخفف عنه أحلام وتخيلات تستجلي قبور أنفاس تتصاعد في حرقة عويلا وعواء تجردت منه أصوات إنسان يحاول التعبير، لتجمع الصورة بين نقيضين وضدين (ينايب الربيع وعاصفة ثلجية) بين أحلام وتمنيات، أمل وعنفوان، وبين واقع وحقيقة تفصح بلا هواده وتلاحم في نسيج متنامي متوالد، تتقاذفه أصوات وإيقاعات تتلاشى وتلاحم مشكلة الصورة في أكمل وجه، عبقها فضاء مغاير مستفز بمفاجأة ترصدها صوت في تراسل حواس تتمخض من خوفه الدلالات فكيف للذات أن ترى عويل قطار الليل؟، كيف لما تجب أن تسمعه الأذن تراه العين لترى الذات العويل بعد سماعه؟، إنها الحيرة والاستفزاز الذي تتعالق به سخرية من حال ذات لا تدري ماذا أصابها وما حل بها، فما يجعل الشعر قادرا دوما على الاقتباس النوعي من الأنواع الأخرى وعلى استيعابها في الآن ذاته هو قدرته الدائمة على العصيان<sup>14</sup>، لتتحقق الصورة في رؤيا صوفية لما وراء كل شيء مادي ملموس، تتعالى وتتسامى في حلم، في رؤيا لذات ترسم ملامحها بنفسها، كذات منفية أجبرت على عيش نفيها مسافة كعبد مقيد إلى قرار محقق توطر له ذات

أخرى (بشعرها الأحمر)، لتنغمس الأرواح وتتوحد النفوس بين أنا وهي بعد اضطراب وتمرد بينهما، ليبقى مجرد السؤال المعبر عن حيرة وتيه، عن سبب نفي من أرض، من اسم وعنوان، نفي من هوية وأصلا عن لم لا يعود المنفي الموسوم بنفيه إلى ما كان عليه، في صورة حاضرة غائبة تشخص ذواتا وتنسج حوارية أصوات تجردت إلى صوت واحد أضحي ذاتا واحدة تحاكي واقعها العربي المعاصر وتسرد معاناة وشقاء منفي إلى غير رجعة.

### 5- صورة الحلم والوطن:

الْأَمْطَارُ كَانَتْ تَغْسِلُ الْأَشْجَارَ وَالْجِرَاحَ وَالسُّطُوحَ

مُوسِيقَى كَمَانُ الْعَازِفِ الرَّوسِيِّ فِي زَاوِيَةِ الْبَارِ

رَأَيْتُ: مُدَنَّ الطُّفُولَةَ الْبَيْضَاءَ فِي الْحَاثِمَا

وَأَنْهَرُ الْعَابَاتِ فِي «الْأَوْزَالِ»

أَقْسَمْنَا مَعًا بِالرَّجْلِ الشَّمْسِ وَالْبَقِيَّةِ الْمَرْأَةِ<sup>15</sup>.

تنسل الصور الشعرية كلغة داخل لغة من عمق صوت "أنا" يتعاضم إلى "نحن" في تمرد وتجاوز لقيده وانصياع، لحرية فكرة وصوت يعبران عن غاية وهدف، تتمازج فيه الصور منزاخة متواطئة في عنفوان سياق عذري حوارية تتلاحق إثره صورة الأمطار المتنازلة من سماء تغسل شجارا جفت جذورها وتلاشت أوراقها، من آثار ما بقيت شاهدة على شيء كعلامة، فهي ذات حية عربية تنفعل في واقعها بين مد وجزر، ومشاهد لا تكون صامتة ساكنة، بل هي معجونة بالأصوات اللغوية والموسيقية، تتداخل معها وتكيف معناها وتصبغ رؤيتنا لها وإدراكنا لدلالاتها، بما يجعل عملية التراكم أكثر تعقيدا من هذا النموذج التكويني المبسط، وبالتالي أشد ثراء وفاعلية في تحريك استجابتنا الجمالية وخلق أفق توقعاتنا المعرفة<sup>16</sup>، وتغسل الجراح المدماة أو الذوات الشاهدة على وقائع زمن كانت طعناته تتدفق منها الدماء الصارخة بالألم، وتغسل السطوح من آثار جراح ودماء ومن آثار أوراق أشجار متناثرة هنا وهناك، ولكن الأمر أنها لا تغسل وإنما كان سقوطها لهذا الفعل مجبرة، فقد دنس الواقع ولوث الزمن المعاصر، شوهدت ملامحه، وهذه السطوح التي غسلت هل هي سطوح البيوت والأبنية، أم سطوح أجساد متناثرة كورق الشجر في واقع بائس يائس ذهل بجياته المشؤومة، لتكون الأمطار ذاتا ما في أرض عربية تحاول تصليح الأوضاع وإقامة الحياة في كل شيء حي ميت، ولتكون تلك الأمنية وذلك الحلم الذي يشيح بنظره عن كل جسد

ميت كان أم حي باحثا عن الذات المختارة لإعلاء صوت طال صمته، وتكون تلك الأنثى الحاضرة الغائبة كحلم تتشربه الذات بعد عطش جفت منه الكلمات والأحاسيس المعبرة عن الصوت القابع في كل كيان طالته أحلام تحركها صور عطشى للسراح والحرية، لتتكشف وتتصدع صورة الأمطار حقيقة كانت أم حلما أتى لغية ما، تشكيلا يعطي للقصيد كيانا ظاهرا مرئيا يفيد من طبيعة المقومات الفنية والجمالية والبلاغية في اللغة، ويمنحها حضورا ماديا على صعيد التلقي البصري<sup>17</sup>، بصورة جديدة تغطي أصداً أصوات وقع الأمطار المتنازلة كنشيج يقرع الأرواح صدها، بموسيقى وألحان تعصف بنشيج وقع المطر على الحياة الباكية هي موسيقى كمان العازف الروسي في زاوية البار، جاءت لتقطع سلسلة أفكار اقتحمت ذهن الذات المتألمة لما مضى وما سيحدث.

رَأَيْتُ: مُدَنَّ الطُّفُولَةَ الْبَيْضَاءَ فِي الْحَاثَا

عادت الذات إلى واقعها بعد تأمل وغوص في عمق صورة حلم تهرب من واقعها المزري إلى ما وراء العقل والمنطق، إلى لامعقول يستفز حاضرا بحفا مقززا، لتتقطع مسيرة صورة حلم، ثم تعود برؤيا تتسامى في كيان تجرد من كل مادة تلمس أرض الواقع، لترقى روحا تستجلي أرواحا أخرى بحثا عن دفاء وعاء يلتحفها بعيدا عن كل ما هو ملموس محسوس، ولتعزف الذات ألحان صورتها الشعرية في رؤيا تتوالد في انزياح وعدول، تتمازج بلغة داخل لغة القصيدة في ترمز وإلحاح يحيل إلى تلميح إيحائي منفعل ينقاد في هوس وإدمان هي رؤيا للبراءة، للصفاء، للطهارة، لكل ما هو مجرد من أرض واقعية منهزمة من كل النواحي، لتكشف عن مدن طفولة تستحضر من ألحان كمال يحاكي الواقع المعاصر، وينقله بعيدا عن ما هو عليه، بعيدا حيث تتعالق الرؤيا بأحلام وأمنيات تتسامى بحركية زمنية ومكانية تصور نفسية ذات تعبر عن شخوص تحرك صوتها، وتتعاقد الصورة الشعرية مع غيرها في رضوخ وتوحد، يضيفه تحول وحلول ضمير الأنا إلى نحن في قسم موحد، ووعد أجمعت عليه ذوات وذوات بصوت واحد، تكشفت عنه صورتان تتعالقان، تتلاحمان عن ما أقسم به، عن الحلف وما تعلق به.

أَقْسَمْنَا مَعًا بِالرَّجُلِ الشَّمْسِ وَبِالْقَيْثَارَةِ الْمَرْأَةِ

فلم هذا القسم كان بهذه الشخوص وهذه الثنائية؟، ولم تم القسم عليهما بالذات؟، إنها صورة تنشظى فيها الكلمات وتتوالد المعاني والدلالات متزاوجة بألوان ذاتين، جنسين رجل وامرأة، جسد وروح اتحادهما تناسل وتوالد لبشرية، لحقوق وواجبات، لحياة وموت، لبقاء وضياع، كأرض

وسماء تحوي الوجود، وتتكاثر الدلالات في هذه الصورة في تركيب للألفاظ، تلتفت دهشة ومفاجأة جذبا السياق في ترتيب أجزاء بناءه، فقد قيل بالرجل الشمس تقديما للذات عل صفتها وكنيتها ولقبها، الذي مثل نور الأرض ونهارها، سطوع الحقيقة وصدمة الواقع المنهار، "الرجل الشمس"، هل هو آلهة تتحاور في البناء السردي اللغوي أم هو ذات تخيلتها الذات المتكلمة، لتكون الوهم الذي تستند عليه، وفي جزء القسم الثاني نجد "بالقيثارة المرأة" فلم أخرت هذه الذات مهما تكن وأسبقت بلقبها، هل تملكها الضعف والعجز حتى تراجع، أم مثلت درع الرجل لتشكل ألقاها التي تحرك شرايين أشعة شمس التي تلف الكون والوجود، هي صورة تكشف في انفعالها عن وحدة والتحام، عن تعالق وترابط، المتأتية من حقيقة أن أول استقبال من القارئ لعمل ما يشتمل على اختيار لقيمه الجمالية، مقارنا بالأعمال التي قرئت من قبل، والدلالة التاريخية الواضحة لهذا هي أن فهم القارئ الأول سيؤخذ وسيتم في سلسلة من عمليات التلقي<sup>18</sup>، فتأرجح القيمة الجمالية للعمل الأدبي، بين استحابة المتلقي ومرجعياته المفضية لتشكيل آراءه ودرجة الاستيعاب لديه، تعكس العلاقات الاجتماعية في الفضاء الثقافي، بحثا عن هوية وإطار يقول ملاحا محيت عن البسيطة، هي صورة لغة تتناسل في حوارية مفتقدة استحضرت ذاتين، إذا التحما كانا ذاتا واحدة متكلمة بصورة هروبا وتجنبنا لكل ما هو موجود، في تمرد وتعنت يقتات كل حلم وخيال يرتسم في صوت تلتحفه ألحان موسيقى تكسر رتابة الراهن المتغلغل في عمق الوجدان، إنه التحرر من كلمات ضبطت معايير قولها ومن تراكيب تشظت ثمارها التي باتت بعيدة عن النضج والاكتمال.

### 6- صورة البعث والموت:

«عِظَامُ الزَّمَنِ الْجَدِيدِ لِلأَرْضِ، هُنَا أَسْمَعُهَا، تَنْمُو»  
جَوَادُ النَّارِ فِي مَلَأَحِمِّ الإِعْرِيقِ نَحْتَ قَدَمِي يَجْمَحُ  
لَا اسْمَ لَهُ: مِنْ كُلِّ مَعْنَى فَارِغٍ، هَذَا الْعَذَابِ<sup>19</sup>.

تعصف الصورة الشعرية في خروجها عن كل عقل ومنطق، متنامية في أحضان بناء وصفي تلتحفه حوارية تتلاشى فيها الأصوات بين حضور وغياب يكتمه تساؤل وحيرة تتوالد داخل تمفصلات لفظية يوطر لها النسيج اللغوي الذي يفرض نفسه، متمردا عن كل عادية وغطية في تجاوز لها وتغيير لحكاية المعنى المتوغل في كل صورة، في تناسل وتوالد، تتماهى صورة خلق وبناء

تستنطق ما وراء كل عقل مقيد، يمثل مشهدا يتشكل في غموض ودهشة مستفزا، فكيف يكون للزمن عظام تنمو!، إنه الزمن الجديد للأرض، الميلاد الجديد، في سمع لطفقة عظام تنامي داخل فضاء متراسل الحواس، فالذات تحكي عن مشهد رأته في الواقع المعاصر، لكنها تتحدث عن سماع لرؤية في تراسل حواس يعود ليحدد نفسه، فكيف يسمع ما قد يمكن رؤيته، إنها الولادة الجديدة للزمن، للواقع المعاصر الذي انفلت من كل قيد، في تصريح يشتد تلميحا وإيجاء تتصاعد رغبات ونزوات لا بل حقائق تستحضر خيالا وهما لتتشبع بأحلام المستقبل الذي توسم الزمن الجديد ميلاده المترقب، في نبوءة تلتحفها ذات تؤكد المصير وتعلم ما خطه القدر ورسمه، لتكشف الصورة الشعرية عن نفسها كروى وأفكار وأحلام تتعالق وتترابط في وحدات، تنسج ملامحها حالة نفسية تحاكي جوانية ذات تأبى إلا كشف ما تخفيه في انفعالات تتصاعد وتيرتها من العمق والداخل نحو السطح، لتعود إلى العمق ملغية كل الحواس في تشويش يترصد عملية التواصل، تغييرا للنص الذاتي النفسي الذي يتشخص بعد كل صورة، تسرح انفعاليته في جسد لغة حية تتماثل للشفاء بعد كل صورة تشرح هالتها المقننة المقيدة، لتفرج عنها بلباس معاصر يحاكي كل شيء في انفصاله عن كل شيء، وتتلاحم مع النص الغائب الذي مثلته أسطورة إغريقية تستحضرها الذات في الحاضر، وكأنها تعيشها بملء فيها لا تكبحها نزوات ولا رغبات، فتنبعث صورة ملامح الإغريق في فضاء ذات انفلتت عن الواقع، الذي أبقى إلا التجرد منها نكرانا وتجاهلا لتحكم سيطرتها على حلم جواد النار في ملاحم الإغريق تحت قدمي يجمع، إنه العبث والانتقال من كل قيد، إنها الصورة الحلم التي تتقصد التأمل والهروب بعيدا، بعيدا عن كل معقول يلغي جمالها وإثارتها المستعذبة التي تنمهي في حضور يتمرد على حاضر إلى حلم تنثال مشاعره وأحاسيسه.

لَا اسْمَ لَهُ: مِنْ كُلِّ مَعْنَى فَارِغٌ، هَذَا الْعَذَابِ

لتنسل الذات الحقيقية واقعها من صورة حلمها، فهي الذات التي بلا اسم، بلا هوية، بلا عنوان، بلا مكان يملكها العذاب، المعاناة، القهر والحرمان، الظلم والعدوان بلا شيء ومن لاشيء، هي الذات الحاملة التي تتوهم الشخصوس والأصوات، الوقائع والحكايات، الرؤى والتنبؤات تعيش حياتها في صور ترتسم في فضاء شعر تنغمر فيه المشاعر والأحاسيس، العواطف والانفعالات، مشكلة صوتها الخاص المنبعث من جوف الملايين من الأصوات الخافتة المتصلبة في أجساد ميتة حية.

7- صورة المرأة الواقع:

العَدْرَاءُ مَدَّتْ يَدَهَا لِيَدِهِ وَعَانَقَتْهَا  
رُقْصًا مَعًا وَأَصْبَحَا لِسَانًا هَبَّ  
فَاشْتَعَلَّتْ فِي رَأْسِهَا الْوُرْدَةَ  
صَاحَ الْعَجْرِي: احْتَرَقِي أَيُّهَا الصَّغِيرَةُ الْحَسَنَاءُ  
مَالَ رَأْسُهَا، تَلَاَقَتْ الْعُيُونُ وَالشِّفَاهُ  
هَذَا زَمَنُ الْمَوْتِ عَلَيَّ وَسَادَةَ الرِّبِيعِ  
مَالَ رَأْسُهَا، فَاحْتَضَنَتْهُ وَهُوَ يَبْكِي<sup>20</sup>.

تتمرد الصورة الشعرية في القصيدة ملتفة حولها متدرجة إلى توحيد وحلول ينساق ضمن تفاعلية أصوات تتصادم وتتلاحم، تؤسس لها ذوات متكلمة ومخاطبة بين (هو وهي) لتتزوج الأصوات في صوتين، لا بل صوت واحد يروح ويغدو في تعال وتداعي، يرتجف ويثبت في صورة لاتحاد صوتين، روحين، ضميرين، وشكلين من أشكال الوجود في استسلام ورضوخ، لا بل حب وشوق، حنين وعشق، حب ابن لأمه، حب زوج لزوجته، حب شعب لأرضه، حب ذات لوطنها، لتتلاحم (هو وهي) لقاء بعد فراق وقريبا بعد بُعْدٍ، وتتمازج في رسم أحلام عالم ينزاح عن كل واقع مادي ملموس في تجرد من كل حقيقة صادمة، إلى خلق بعد ثالث تتشوق له النفس كفضاء خاص بها، تتعانق أحيانها به، إنه العالم الحلم المتخيل الذي تسطع فيه عوالم الرؤيا الملغية لكل فكرة واقعية تدنس مجالها الطاهر النقي، في حميمية تلغي كل الفوارق والحدود، كل الشروط والحواسر، تتفجر العواطف والمشاعر، وتعصف الأفكار التي مضت وتكدست، لتتحقق ما يعرف بجمالية النص، التي يراها إزرا باوند على أنها: تلك التي تعرض مركبا عاطفيا وفكريا في لحظة زمنية واحدة. إنها عرض أمثل لهذا المركب في شكل لحظي مما يمنح ذلك الإحساس بالتححرر المفاجئ، ذلك الإحساس بالتححرر من قيود الزمان والمكان، الإحساس بالنمو المفاجئ الذي نجريه في حضور أعظم أعمال الفن<sup>21</sup>، لتنبعث من جديد في صورة تتكلم بها لغة الشعر، لغة الصوت المنفصل الذي اتحد بعد فراق طويل، لترتسم ملامح اللقاء والتلاحم بين هو وهي بين روح وجسد، بين ذات ووطن في صورة تكاد تتكلم، تشكلها حركات تصرفات وسلوكات، أفعال وردود أفعال تحاكي الواقع المعاصر بكل مفصلية تحركه، وبكل فجوة تعتمر فراغه الأبدى، المنزاح

عن كل حق وواجب وعن كل إنسانية، متجردا من كل وجه وملمح إلى لاشيء فقط قالب فارغ يتقمص ذوات، عادات وتقاليد وأفكار، ولكن الصورة الشعرية في محاكاتها للواقع المعاصر في تصوير تخييلي، نسج فاعلية رسم سرالية تُوَظَر لبعث ثالث، يعكس تلك الحركية المتجدرة في صورة تتكلم وتفعل بين فعل ورد فعل.

لتكسر أفق كل توقع مثيرة لدهشة ومفاجأة يرتجف لها السياق داخل النسيج اللغوي الشعري، يشكل القوة المبدعة للعالم الخاصة، القادر على إحداث الزلازل التي تقلب كل قوانين العالم الخارجي، وتجعل القوانين الداخلية تتحكم فيها<sup>22</sup>، في انزياح وعدول عن تصوير نمطي بسيط، لتحضر الأسطورة في صورة قلبت الموازين وكسرت قيود أبعاده المتوارثة، إنها صورة تحاكي أسطورة، نص حاضر معاصر يستحضر نصا غائبا أسطوريا ماضيا، يتلاحم في رحم يتمخض عن نص متعدد الهويات والأصوات، نص متنوع المواضيع والدلالات، لتحضر عشتار وتموز بين قتيل يرمى في غياهب أرض الأموات، وعاشقة وفيه تسترد حبها من أنياب الموت ليعود كبهجة نور وأمل حياة يتجدد كل ربيع، يبعث الحياة ويسطع بالولادة الجديدة المتكررة الدائمة، عساها الحياة تتغير والواقع يتبدل، لكن الاستحضار والبعث لهذا النص تتداعى أبعاده في صورة معاكسة لمضامينه، قالبية للموازين في بناء صورة خاصة تحاكي الواقع المعاصر المهزوم، فالعذراء التي حاكت صورة عشتار، والعجري الذي شخص تموز اتحادا من صوتين إلى صوت واحد، أخذ ينسل ويتهاوى، فلم تقم العذراء بفعل ما قامت به عشتار، لم تهد العجري من هلاكه، لم تعده من منفاه، لم تعده من غربة تجلت غربة روح، لا غربة مكان ووطن، فالربيع الذي كان ميلاد حياة تموز، وولادة جديدة له بعد بعث من الموت لأمل، للحياة، لانتظار شيء ما وتحقيق غاية ما، أصبح ميلاد موت العجري ميلاد موت وغياب، تلاشي وضياح فيا لسخرية!، إنه موت كلا الذاتين (العجري والعذراء)، فهما لم يحققا النص الغائب المستحضر، بقدر ما حققا حياة الواقع العري المهزوم المأساوي، الذي مثلت الحياة فيه والتنفس منه ربيع موت لا ربيع حياة، تضحيات بوطن في سبيل وطن، سياسات عربية مدمرة لذواتها وشعوبها حكومات تعسفية تتصارع تحت شعاراتها الصارخة المدوي، أوطان لم تتعلم الثقة والإيمان، وهي تعيش في أراض تتدفق في شريانها الخيانة والغدر، عدم المبالاة ولا الاكتراث بأي كان، هي الأنانية والوعود الكاذبة التي تغرس في نفوس تعلمت وضع الحدود بين إخوتها لا لشيء إلا طاعة لكومة ظلمة، ولكن إلى متى؟، ألم يكن موعد

الثورة والتمرد و التغيير والتجاوز لهذا الواقع العربي المعاصر الذي فاح صيته في عالم مجروح مفعوج؟، إنها صورة شعرية لربيع عربي تتلقفه مشاعر وعواطف، أفعال وردود أفعال، أصوات وأصداء، موت وحياة، ثورة وتمرد.

#### خاتمة:

ومما سبق نستطيع القول: أن الصورة الشعرية شكلت قراءة جمالية لديوان "سيرة ذاتية لسارق النار" كلحمة التحفت المعاني والدلالات من كل صوت ولفظ وتركيب، مشكلة شحنات نفسية وأخرى دلالية تغذيها طاقات تعبيرية، تستنطق جوانية النسيج اللغوي في تصوير منزاح يستجلي نصا غائبا كحاضر، في مسار حكائي سردي تتلقفه أصوات ترسم الإطار المؤسس للغة الشعرية، في تهدم لكل ما هو منطقي ومعقول، وبناء صورها وتشكيلاتها البنائية على نظريات وإجراءات اللامعقول واللامنطق، في تحريك للغة تتلاشى فيها كل الحدود والأبعاد المقيدة لها، لتكشف عن رؤيا وأحلام تخلق كل مفاجأة ودهشة، تنسل منها تملكية لكل جزء في الديوان، يحمل كل إيجابية وتلميح في كيان اللغة الشعرية، معبرة عن بؤرة توأدها وجوهر تناسل دالاتها داخل كل نص، فأول ما يبهر المتذوق للذة اللغة الشعرية وصورها المنفعلة، هو حيرته الشديدة في وقفة جادة لمحاولة تخيل عالم القصيدة، الذي قد يبدو منذ البداية أشعث الأطراف ممزق الأجزاء، لأنها لا تصور نسقا لفكر أو عالم مألوف... إن الوجود الوحيد لعالم الشعر هو نسيج مخيلة تتماهى في حضور تنتفض له الأدواق، فهي لا ترى العالم في ذلك السكون المترامي على جوانب النسيج اللغوي وإنما من خلال حركته، ولا تشهد الكون مشاهدة المتأمل المتأثر وإنما برؤية المشارك المؤثر<sup>23</sup>، فتتنامي داخل جسد اللغة الشعرية أصوات تتحرك في فاعلية جذابة تعمل على تشكيل الإيقاع الخاص لكل بنية تحكم الأسلوبية البنيوية سيطرتها عليها، وتراكيب نواتها كلمات وألفاظ تترفع عن كل نسق تعبيرى بسيط إلى فضاء التشكيل والإيحاء، الذي تتناسل منه الصور والمشاهد الحية في تمرد وعدول يؤرخ لتجديد وتغيير يتنامى في عمق بؤر القصيدة الشعرية المعاصرة.

#### هوامش:

<sup>1</sup> - كمال عبد الرزاق العجيلي، البنى الأسلوبية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2012م، ص256.

- <sup>2</sup> - سامية راجح ساعد: تجليات الحدائث الشعرية، عالم الكتب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، إربد-الأردن، 2010، ص 69.
- <sup>3</sup> - كمال عبد الرزاق العجيلي: البنى الأسلوبية، ص 257.
- <sup>4</sup> - عبد الوهاب البياتي: ديوان سيرة ذاتية لسارق النار، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1985م، من قصيدة لم تكتمل.
- <sup>5</sup> - إبراهيم محمود: صدع النص وارتخالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 2000م، ص 61.
- <sup>6</sup> - محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر، 1981م، ص 10-11.
- <sup>7</sup> - الديوان، قصيدة القربان، المقطع 1، ص 43.
- <sup>8</sup> - سامية راجح ساعد: تجليات الحدائث الشعرية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، 2010م، ص 220.
- <sup>9</sup> - غادة الإمام: غاستون باشلار جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2010م، ص 115.
- <sup>10</sup> - الديوان، قصيدة المخاض، المقطع 2، ص 13.
- <sup>11</sup> - ستيفان أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، ص 7.
- <sup>12</sup> - ناظم عودة: جماليات الصورة من الميثولوجيا إلى الحدائث، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2013م، ص 161-162.
- <sup>13</sup> - الديوان، قصيدة الموت في البسفور، المقطع 3، ص 65.
- <sup>14</sup> - عبد الناصر هلال: الالتفات البصري من النص إلى الخطاب (قراءة في تشكيل القصيدة الجديدة)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ط1، 2009، ص 172.
- <sup>15</sup> - الديوان، قصيدة سيرة ذاتية لسارق النار، المقطع 1، ص 4.
- <sup>16</sup> - صلاح فضل: قراءة الصورة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 2003م، ص 9.
- <sup>17</sup> - محمد صابر عبيد: سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل، قراءات في قصائد من بلاد النرجس، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2009م، ص 215.
- <sup>18</sup> - روبرت هولب: نظرية التلقي، مقدمة نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية للنشر، القاهرة، ط1، 2000م، ص 103.
- <sup>19</sup> - الديوان، قصيدة سيرة ذاتية لسارق النار، المقطع 2، ص 56.
- <sup>20</sup> - الديوان، قصيدة السمفونية العجرية، المقطع 1، ص 34.

<sup>21</sup> - إزرا باوند: ملحوظات شاعر تصويري، مجلة "شعر"، المجلد الأول، أكتوبر-مارس، 1912-1913م، ص200.

<sup>22</sup> - عدنان حسين قاسم: التصوير الشعري، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ص37.

<sup>23</sup> - انظر: طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994م، ص92.